

الحلقة الثامنة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كيف يتأكد الإنسان مستمعي من حصوله على الحياة الأبدية؟ معظم الناس يعتقدون أنه من المستحيل على المرء أن يتأكد من خلاصه الأبدى هنا على الأرض، ويقولون أن الله عند الدينونة الأخيرة سيقدر مصير كل إنسان، إن كان سيذهب للحياة الأبدية أم للهلاك الأبدى. وليس هذا فحسب بل يظن الكثيرون أن عند الله ميزاناً يزين فيه أعمال البشر. فإن كانت الكفة تميل للأعمال الصالحة لدخلوا إلى دار النعيم ونالوا الحياة الأبدية. وعلى العكس إن كانت الكفة تميل إلى الأعمال الشريرة لذهبوا إلى دار الشقاء والهلاك الأبدى. فما هي صحة هذه المعتقدات والظنون؟

لقد أجاب المخلص المسيح عن هذه التساؤلات وغيرها في حديثه مع جمهور اليهود فقال لهم: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعْنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَيَّ الْأَبَدُ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي» (بشارة يوحنا ١٠: ٢٧-٢٩). كُنَّا قد تأملنا في اللقاءين السابقين بتصريح المسيح أنه هو باب الخراف الذي تدخل منه الخراف إلى الحظيرة، ثم قوله أنه هو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف. أما اليوم فسنأمل بتصريحه الذي أكد فيه ضمان الحياة الأبدية لكل من يؤمن، فابقوا معنا أصدقائي.

لقد تابع أعزائي المخلص المسيح حديثه فقال: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعْنِي». كما ذكرنا سابقاً إن المقصود بالخراف هنا هو البشر. فأعلن المسيح أن خرافه أي الناس الذين آمنوا به سيسمعون صوته ويتبعونه، وليس هذا فحسب بل أنه هو يعرفها واحداً واحداً بالاسم. إن الإيمان بالمسيح المخلص هو الخطوة الأولى لكي يصبح الإنسان من خراف المسيح أو من أولاد الله. وعندما يختبر المرء خلاص الله يسمع صوت المسيح ويتبعه، ويصبح في نفس الوقت معروفاً لديه. فهو كالراعي الصالح يعرف رعيته كما ذكرنا فرداً فرداً.

وهنا يجدر بنا أن نعود إلى ما دونه لنا البشير يوحنا في بداية بشارته عندما كتب قائلاً عن المسيح: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ» (بشارة يوحنا ١: ١١-١٣). أجل، إن كل من يقبل المسيح أي يؤمن به، يعطيه المسيح سلطاناً أن يصير من أولاد الله، أي يصبح من الخراف ورعية المسيح. وهذه الصيرورة أن يصبح المرء من أولاد الله، لا تأتي عن طريق النسل أو الولادة الطبيعية، بل تكون بالولادة الروحية التي يجريها الله نفسه. إذ يجدد الإنسان من الداخل ويجعله خليفة جديدة.

نعلم أنه عندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح ويصبح من أولاد الله ينال الغفران الكامل عن خطاياها. لعل السؤال الآن: هل هناك من ضمان أو تأكيد أنه سيحظى أيضاً بالحياة الأبدية؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال عندما قال عن الخراف أو البشر الذين يؤمنون به: «وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي». هنا يؤكد المسيح بكل وضوح أن كل من يؤمن به ويصبح من أولاد الله ومن رعيته سيعطيه حياة أبدية، ولن يهلك إلى الأبد. وليس هذا فحسب: بل لن يستطيع أحد أن يخطفه من يده. هذا هو الضمان الأبدي الأكيد.

ثم تابع المخلص المسيح كلامه مؤكداً أن الحياة الأبدية لكل من يؤمن أمر مضمون أيضاً من الله الأب نفسه إذ قال: «أَبِي الَّذِي أُعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي». إن الله الأب نفسه أيضاً سيضمن الحياة الأبدية لكل من يؤمن بالمخلص المسيح. إذن إن مجرد الإيمان القلبي الصادق بالمسيح وعمله الكفاري على الصليب، سيجعل الإنسان ينال الحياة الأبدية، ولا علاقة لذلك بكمية الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان. فهل هناك أعظم من هذه العطية المجانية التي يهبها الله المحب للإنسان الخاطئ؟

صديقي المستمع، هل ما زلت تعتقد أنه من المستحيل أن يتأكد الإنسان من حصوله على الحياة الأبدية هنا على الأرض؟ وهل ما زلت تظن أن عند الله ميزان يضع فيه أعمالك الصالحة في كفة، وأعمالك الشريرة في كفة أخرى؟ وأنه على نتيجة الكفة الراجحة يتوقف موضوع دخولك إلى الحياة الأبدية. لكن كما تبين لنا قبل قليل أن بإمكان الإنسان أن يتأكد من حصوله على الحياة الأبدية منذ الآن، عندما يؤمن بالمخلص المسيح، ويصبح من أولاد الله. وأن لا وجود لميزان عند الله لكي يزين فيه أعمالنا الصالحة مقابل أعمالنا الشريرة.

قد يتساءل البعض لكن على أي أساس يهب الله الإنسان الخاطيء الغفران الكامل والحياة الأبدية؟ وللإجابة نقول: إن الله لا يسمح الإنسان الخاطيء هكذا من دون مقابل، لأن المسيح نفسه قد دفع ثمن خلاصنا، وذلك بموته بدلاً عنّا على الصليب. فهو على الصليب أخذ عقاب خطايانا لكي ننجو نحن إذا آمنّا به. إذن إن الإيمان بالمخلص المسيح وبموته الكفاري من أجلنا على الصليب، هو الذي يهب الإنسان الغفران الكامل عن خطاياهم والحياة الأبدية، ويجعله من أولاد الله. وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يكتب قائلاً: «مُنْتَبَرِّينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (الرسالة إلى رومية ٣: ٢٤).

إن فداء المسيح على الصليب هو الذي يجعل الإنسان باراً أي بلا خطيئة أمام الله، وهو الذي يؤهله لكي ينال الحياة الأبدية. ألا تود مستمعي أن تحظى بهذا الغفران الكامل؟ وأن تتال الحياة الأبدية؟ لم لا تؤمن الآن بالمسيح المخلص الوحيد! وهكذا تصبح من خراف المسيح ورعيته وتتال هبة الخلود في دار النعيم!